

خلاصة المقالة في الرد على أهل الضلالة



اعتنى بتجميعه وإصداره، جمعية السنة في أمريكا، ١٩٩٨
visit us at <http://www.sunnah.org>

قال ﷺ:

إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ
فَإِذَا رَأَيْتُمْ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ

ابن ماجه عن أنس - ح ٣٩٤٠ - الفتن

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ومولانا وحبیبنا وشفیعنا يوم الدين محمد وآله وصحبه أجمعين ~
فقد قال رسول الله وهو الصادق المصدوق "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم إختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم"

لقد ابتلي الإسلام والمسلمون في زماننا هذا بأقوام تدّعي التمسك بالكتاب والسنة، والأخذ منهما مباشرة دون حاجة الى علم عالم أوفقه فقيهه، أو الرجوع حتى الى أقوال السلف الصالح، بما فيهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين هم خير الوري بعد الرسل والأنبياء، وأعلم هذه الأمة اطلاقاً بكتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وليس كما يزعم الضّالون المضلون، هم رجالٌ ونحن رجال. ليس الثرى كالثريا، وليس الدرُّ كالْبَعْر.

وليتهم وقفوا عند هذا الحد، بل زعموا ان مذهبهم هذا هو عين الكتاب والسنة، وجوهرهما، وأن من خالفه فهو من اهل البدع والضلالة، بل ويصل الحد الى تكفيره، وان كان من أهل القبلة، يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله. أعلم، ان هذا الدين لا يؤخذ عن كل من هب ودب، أما يؤخذ عن العلماء بكتاب الله وسنة رسوله، الذين هم ورثة الانبياء. كما جاء في السنة المطهرة، وهم علامات بها يعرفون، ومزايا تميزهم عن عامة الناس، سنأتي على ذكرها في موضعها إن شاء الله. وكما أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، في حديثه الشريف: ((إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم))¹. وفي رواية ((العلم دين والصلاة دين فانظروا ممن تأخذون هذا العلم وكيف تصلون هذه الصلاة فانكم مسؤولون يوم القيامة))²

فالعلم هنا هو العلم بكتاب الله وسنة رسوله، والبيان واضح في وجوب أخذه عن أهله وهم الأئمة والسلف الصالح وأئمة هذه الأمة وعلمائها المجمع على جلالتهم وعلو قدرهم، فاقتفاء أثرهم واجب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.



¹ رواه الحاكم عن أنس

² رواية الديلمي عن ابن عمر مرفوعاً

مصدر الفتن

محمد بن عبد الوهّاب من بني تميم. عاش قرابة مئة عام حتى انتشر عنه ضلاله. ولد سنة ١١١١ وتوفي سنة ١٢٠٦. قام بحلف ديني - عسكري مع محمد بن سعود، امير الدرعية من امراء المشرك الذي قام بنصرته ونشر دعوته وهو من بني حنيفة (قوم مسيلمة الكذاب) ولما مات قام بها ولده عبد العزيز ثم عبدالله.

حاربوا المسلمين في الجزيرة العربية بمساعدة الإنكليز وسموا دولتهم الجزيرة العربية السعودية نسبة لآل سعود. والى يومنا يتجدد الحلف بين آل سعود (مسؤولين عن ادارة الدولة) وآل شيخ (مسؤولين عن الدين).

وبعد اكتشاف البترول في الجزيرة العربية وتوفر الاموال الهائلة، قاموا بطباعة الكتب والتفاسير التي تلائم مذهبهم وتصديرها للخارج مجاناً. كما قاموا بترميم وبناء المساجد في البلاد العربية التي تتقيد بالمذهب الوهابي، ومنح دراسية لطلاب الدين. فبذلك انتشر ضلالهم بين العوام بدون معرفة هؤلاء أنّ مشايخهم وكتبهم وعلمائهم مسيرون تحت التوجّه الوهابي.

من افعاله وتابعيه:

١. حاربوا اهل مكة ابتداءً من سنة ١٢٠٥ هـ .
٢. نزلوا في الطائف سنة ١٢١٧ هـ. وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم وهدموا مسجد عبد الله بن عباس
٣. كانوا يأمرّون كل من إتبعهم ان يخلق رأسه، رجالاً ونساءً
٤. منعوا الصلاة عليه ﷺ على المنابر بعد الأذان. وفي قصة ان رجل صالح مؤذّن كان اعمى وصلّى على النبي بعد الأذان بعد ان كان قد منع من ذلك، فأُتوا به الى ابن عبد الوهّاب فأمر أن يُقتل، فُقُتِل
٥. هدم القَبَبُ التي على قبور الصحابة والأولياء
٦. نهبوا حجرة الرسول وأخذوا ما فيها من نفائس
٧. صاروا يصنعون للكعبة المعظمة ثوباً من العباء القبلان الأسود



فاسألوا أهلَ الذِّكْرِ إن كنتم لا تعلمون

النحل ٤٣

إنَّ الجاهل لا يستبِد برأيه، بل يجب عليه أن يسئل أهل العلم وقال ﷺ

ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال

سنن أبي داود ٢٨٤

~

خصال الإمام

أجمعت العلماء قاطبة على أنه لا يجوز لأحد أن يكون إماماً في الدين والمذهب المستقيم حتى يكون جامعاً هذه الخصال، وهي:

١. أن يكون حافظاً للغات العرب واختلافها ومعاني أشعارها واصنافها
 ٢. أن يكون عالماً فقيهاً وحافظاً للإعراب وأنواعه والإختلاف
 ٣. أن يكون عالماً بكتاب الله، حافظاً له ولاختلاف قرائته واختلاف القراء فيها
 ٤. أن يكون عالماً بتفسيره ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وقصصه
 ٥. أن يكون عالماً بأحاديث الرسول ﷺ، مميزاً بين صحيحها وسقيمها ومتصلها ومنقطعها ومراسيلها ومسانيدها ومشاهيرها واحاديث الصحابة موقوفها ومسندها
 ٦. أن يكون ورعاً صائناً لنفسه صدوقاً ذو ثقة، يبني مذهبه ودينه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ
- فإذا جمع هذه الخصال، فحينئذ يجوز أن يكون إماماً وجاهزاً أن يقلد ويجتهد في دينه وفتاويه. وإذا لم يكن جامعاً لهذه الخصال أو أحلّ بواحدة منها كان ناقصاً ولم يجوز أن يكون اماماً وان يقلده الناس (قاله الامام ابو بكر الهروي). فمن لم يكن إماماً، عليه ان يقتدي بمن هو بهذه الخصال المذكورة.

تصنيف المسلم

الناس في الدين على قسمين: مقلد ومجتهد
لذلك فرض على من ليس بمجتهد ان يسئل ويقلد
وقال ابن القيم في اعلام الموقعين: لا يجوز لأحد ان يأخذ من الكتاب والسنة ما لم يجتمع فيه شروط الإجتهد.
وعندما سئل الامام احمد بن حنبل، اذا حفظ الرجل مائة ألف حديث هل يكون فقيهاً؟ قال لا فما زال السائل يزيد العدد حتى قال فأربع مائة الف، فقال الامام نعم.



عن ابن عمر انه رضي الله عنه قال:

أخوف ما أخاف على أمّتي رجل يتأول القرآن في غير موضعه

تحليل المذهب الوهابي

اهداف المذهب

زعم محمد بن عبد الوهاب ان مراده اخلاص التوحيد والتبري من الشرك، وأن الناس كانوا على شرك منذ ٦٠٠ سنة فاستحل دمائهم واموالهم وفرض على المسلمين تجديد الشهادة. فمفهوم التوحيد عند ابن عبد الوهاب هو ان نرمي بالشرك كل من:

١. استغاث برسول الله ﷺ
٢. ناداه ﷺ
٣. سأله الشفاعة
٤. زار قبره الشريف ﷺ او غيره من الانبياء وكذلك الأولياء والصالحين

إثباته

حمل قوله تعالى حكاية المشركين في عبادة الأصنام ﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾. فإنَّ المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئاً بل يعتقدون أنَّ الخالق هو الله ﷻ بدليل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله﴾ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله﴾. فلذلك من استغاث، نادى، سأل الشفاعة او زار قبر النبي ﷺ او غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين فهم كالمشركين، وقد حكم الله عليهم بالكفر والاشراك لإستخدامهم الوسائط - ليقربونا الى الله زلفى.

نقطة الخلاف مفهوم معنى الشرك

اعتمد الوهابيون في تكفيرهم للمسلمين على الإجتهد والإستنباط والتفسير باستخدامهم الرأي على خلاف تفسير الصحيح المروي في الصحاح وخالفوا وشذوا عن الجماعة. فقال النجدي انَّ الشرك قد شاع في هذا الزمن وذاع والأمر آل الى ما وعد الله ﴿وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ يونس ١٠٦ فأجاب اهل السنة، انَّ هذه الآية تدلُّ عن وعد في الإستقبال وليس بيان الحال، كما أنَّ المراد بـ (يؤمن) في هذه الآية هو قول خالقية الله ﷻ. فحال المشركين من قريش أهم كانوا على معرفة من انَّ الله هو الخالق وعلى رغم من ذلك كانوا يشركوا في عبادته. ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله﴾ الزمر ٣٨ عن ابن عباس في تفسير هذه الآية - فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره، فذلك شركهم {أخرجه البخاري وغيره}. صرَّح علماء اهل السنَّة في كتب العقائد ان الشرك هو إثبات الشريك في الألوهية اما بمعنى وجوب كالجوس او بمعنى العبادة كعبدة الأصنام فمدار الشرك وركنه هو اعتقاد تعدد الآله، كما انَّ التوحيد إعتقاد وحدة الإله. قال الله ﷻ ﴿وما امروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ التوبة ٣١ و ﴿إله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ النمل ٦٣ و ﴿أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون﴾ الطور ٤٣ وكان شرك العرب هو هذا، كما حكى الله بلسانهم ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً أن هذا لشيء عجاب﴾ ص ٥ وروى ابن جرير لما نزلت بالمدينة ﴿إلهكم إله واحد﴾ الكهف ١١٠ وسمعا كفَّار مكة، تعجَّبوا وقالوا كيف يسع الناس إلهً واحداً وأنَّ محمد يقول إلهكم واحداً؟

فاستغاثه الذي من شيعة على الذي من عدوه

فوكزه موسى فقضى عليه

القصص ١٥

الاستغائة

وهي طلب الغوث. والاستغائة بالنبي هي نوع من التوسّل. وهو ان يقال إستغثت الله تعالى بالنبي ﷺ وقد يحذف المفعول به، فيقال: استغثت بالنبي ﷺ.

قال ابو بكر ﷺ قوموا نستغث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ انه لا يُستغاث بي إنما يستغاث بالله عز وجل. [معجم الكبير للطبراني]

فمعناه أي أنا وإن استغثت بي، فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى. فقد قام ﷺ بتوضيح قول ابي بكر ولم ينكره عليه.

وفي مثل آخر، قول ﷺ لعلي ﷺ: (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا)، فسلك الأدب في نسبة الهداية الى الله تعالى وقد قال تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) فنسب الهداية اليهم.

هؤلاء إن كانوا يمنعون الاستغائة من حيث أنّها استغائة بغير الله ويجعلونها شركاً، فاستغائة الرجل بمن يعينه في بعض شؤونه شرك، واستغائة الملك بجيشه شرك وطلب المريض للطبيب شرك!

فإن قالوا إنّ الاستغائة والتوسل بالأموال شرك دون الأحياء، قلنا لهم، لا معنى لأن يكون طلب الفعل من غير الله شركاً تارة وغير شرك تارة أخرى، فإن فيه نسبة الفعل لغير الله على كل حال. والاستغائة بالأحياء اقرب الى الشرك منه بالأموال، لانهما اقرب الى اعتقاد تأثيرهم في الاعطاء والمنع بمقتضى الحس والمشاهدة.

وفي ثبوت حياة الأرواح وبقائها بعد مفارقة الأجسام، منادات النبي ﷺ لرؤساء قريش في بدر - بعد مقتلهم -

حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ نَائِبٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جِيءُوا ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ يَا أُمِيَّةُ بِنَ خَلْفِ يَا أَبَا جَهْلٍ بِنَ هِشَامٍ يَا عُنْتَبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بِنَ رَبِيعَةَ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا قَالَ فَسَمِعَ عُمَرُ صَوْتَهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُنَادِيهِمْ بَعْدَ ثَلَاثِ وَهَلْ يَسْمَعُونَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّكَ لَأَنْتُمْ مَوْتَى) فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي يَبْدُو مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَأَنْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا^٢ [مسند احمد ١٣٥٥١]

ذكر ابن كثير أن شعار الصحابة رضوان الله عليهم يوم اليمامة (والمحمّاه) وكان ﷺ. قد توفي.

الخلاصة: إنّ المستغث لا يكفر إلا إذا اعتقد الخلق والإجاد لغير الله تعالى، والتفرقة بين الميت والحي لا معنى لها.



^٢ وردت في سنن النسائي ٢٠٤٨، أحمد ١٧٧، ١١٥٨٢، ١٢٤٠٨، ١٢٨١٩، ١٣٢٧٤

والمحمداه

شعار الصحابة رضوان الله عليهم يوم اليمامة - ذكره ابن كثير

في المنادات والتوسل

زعمهم:

قال النجدي محمد بن عبد الوهَّاب، فمن قال

- يا رسول الله أسئلك الشفاعة
- يا محمد أدع الله في قضاء حاجتي
- يا محمد أسئلك الله بك وأتوجه إلى الله بك

وكل من ناداه فقد أشرك شركاً أكبر.

ويستدل بآيات كـ ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾^٤
﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾

الرد:

إنَّ النداء غير الدعاء، لأنَّ الطلب إذا كان مخلوق فلا يسمَّى دعاءً لا شرعاً ولا عرفاً بين المسلمين [كما نص عليه المحدث زين الدين العراقي الشافعي والقاضي محمد ابن رشد المالكي وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري وغيرهم من الأئمة الأعلام] وإنما سُمِّي بعض المغترِّين دعاءً ترويحاً على العوام، إدخالاً للشبهات في قلوبهم حتى لا يتوسَّلون برسول الله ﷺ ولا بغيره من الأنبياء والرسل.

واعلم ان الدعاء الذي هو مخ العبادة إنما هو رفع الحاجات إلى رفيع الدرجات بالتضرُّع إليه خاصة وهذا لا يكن إلا لله ﷻ. إنما غاية المنادي أن يتوسل إلى الله فأنبياه ورسله منادياً لهم بأسمائهم والنداء غير الدعاء الذي هو مخ العبادة [انتهى قول العلوي الشافعي في مصباح الأنام]

وإذا قلت لماذا التلبيس، فلما لا ندعو الله بدون نداء واستخدام وسائل؟

نقول أولاً، ان الله ﷻ قال في قرآنه الكريم - وابتغوا إليه الوسيلة. فإن قلت المراد بالوسيلة الصلاة والاعمال، قلنا هي ايضاً وسائل غير الله ﷻ. وروى ابن مردويه، قال رسول الله ﷺ "إنَّ الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة على خلقه".

ثانياً، نعمل ما قد أمرنا به الرسول ﷺ، أي اتباع سنَّته وسنَّة خلفائه المهديين.

قبل خلقه ﷺ:

روى الحاكم (ساق استاده إلى عمر بن الخطاب)، قال رسول الله : لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم اخلقه، قال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضيف إلى اسمك الا أحب الخلق إليك. فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، انه لأحب الخلق إليّ واذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك.^٤

في حياته ﷺ:

[روى الترمذي وابن ماجه والبخاري والحاكم وأحمد عن عثمان بن حنيف ﷺ] ان رجلاً ضربير البصر جاء إلى النبي ﷺ وقال ادع الله ان يعافيني، قال إن شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك. قال ادعه، قال

^٤ قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ورواه البيهقي في دلائل النبوة وقال تفرَّد به عبد الرحمن ابن زيد المدني
— سنة ١٨٢هـ — وذكره الطبراني وزاد فيه (وهو آخر الأنبياء من ذريتك)

فأمرُ أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعوا بهذا " اللهم إني أسألك وأتوجهُ إليك بنبيك، نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقدي لي حاجتي "
بعد مماته ﷺ:

وفي ملخص الحديث، بعد ممات الرسول، علم الصحابي عثمان بن حنيف ﷺ هذا الدعاء لرجل ذو حاجة عند أمير المؤمنين عثمان بن عفان [روى هذا الحديث البيهقي ونقله المنذاري والحافظ نور الدين الهيثي، والإمام السبكي وابن تيمية والسيوطي والشوكاني].

وروى ابن ابي شيبة في مصنفه بإسناد صحيح من رواية لبي السمان عن مالك الدار، وكان خازن عمر ﷺ، قال - أصاب الناس قحط في زمن عمر ﷺ فحاء رجل (الصحابي بلال بن الحارث المزني) الى قبر الرسول ﷺ فقال يا رسول الله، استسقى لأمتك فأنتهم قد هلكوا، فأنتي (رسول الله) الرجل في المنام فقال له إئت عمر ﷺ فقل له إنكم مسقون فعليك الكيس. قال، فبكى عمر ﷺ وقال يا رب، ما آلو الا ما عجزت منه [ذكره العسقلاني ورواه البيهقي والتميمي والبخاري]. ومحل الاستشهاد في هذا الاثر، طلبه الاستسقاء من النبي ﷺ بعد موته وقرار عمر إياه على ذلك.

فقد اتفق الإجماع على جواز التوسل بالنبي بعد وفاته من زمن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الى الآن ومن قال بخلافه من المتأخرين فقد رد عليه قوله، لأن قوله بخلاف لإجماع الصحابة ومن بعدهم من الأمة. والقول المخالف للإجماع مردود.

افعال الرسول في التوسل: توسل ﷺ بالأنبياء بعد موته كما في الحديث الصحيح، عن انس بن مالك ﷺ قال: لما ماتت فاطمة بنت اسد بن هاشم، أم علي بن ابي طالب ﷺ وكانت ربت النبي ﷺ، دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها ثم قال: رحمك الله يا امي بعد امي وذكر ثناءه عليها، ثم كفنها ببرذته وأمر بحفر قبرها، قال، فلما بلغوا اللحد، حفره رسول الله ﷺ بيده، واخرج ترابه بيده فلما فرغ، دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال: "الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت اسد ووسع لها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإني ارحم الراحمين" [أخرجه الطبراني في الكبير والايوسط وابن حبان والحاكم بسند صحيح]

افعال الأئمة في التوسل:

كان الامام الشافعي ﷺ يتوسل بالامام ابي حنيفة ﷺ يجيء الى ضريحه، يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله ﷻ به في قضاء حاجاته [روى الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي في كتاب التاريخ ج ١ ص ١٢٣ بسند صالح]. وفي كتاب الخيرات الجنان ص ٦٩، نقل العلامة ابن حجر قول الشافعي متوسلاً بأهل البيت النبوي:

"آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي أرجو بهم أعطى غداً بيد اليمين صحيفتي."

وتوسل الامام احمد بن حنبل بالامام الشافعي ﷺ حتى تعجب ابنه من ذلك، فقال له الامام أحمد:

"إن الشافعي كالشمس للناس والعافية للبدن."

أقوال الأئمة في التوسل

الإمام احمد بن حنبل

قال في منسكه الذي كتبه للمدروزي: انه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه. وجزم به في كتاب المستوعب وغيره.

الإمام كمال الدين بن الهمام الحنفي ﷺ (م ٨٦١هـ)

في باب زيارة النبي ﷺ - ويسأل الله حاجته متوسلاً الى الله بحضرة نبيه، ثم قال يسأل النبي ﷺ الشفاعة فيقول يا رسول الله أسألك الشفاعة، يا رسول الله اتوسل بك الى الله.

الإمام ابو عيسى الترمذي رحمه الله (م ٢٧٩ هـ)

قد جَوَّزَ التوسُّلَ بنوات المسلمين حيث ترجم الباب من ابواب الجهاد في جامعه وقال - باب ما جاء في الإستفتاح بصعاليك المسلمين - واخرج تحت الباب، حديث ابي الدرداء رضي الله عنه: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغوني في ضعفائكم فإنما ترزقون وتنعصرون بضعفائكم."

الإمام النووي الشافعي رحمه الله (م ٦٧٦ هـ)

قال في كتاب الأذكار، باب الاذكار في الاستسقاء ص ١٦٠، أنه يستحب إذا كان فيهم رجلا مشهور بالاصلاح ان يستسقوا به فيقولوا اللهم إنا نستسقي ونستشفع إليك بعبدك فلان.



أنا أوَّلُ الناس خروجاَ إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا

أنا مُبَشِّرهم إذا يَسُوا، وأنا شفيعهم إذا حسبوا

لواءُ الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربِّي ولا فخر

وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وما من نبي آدم ومن سواه إلا تحت لوائي

وأنا أوَّلُ شافعٍ و أوَّلُ مشفَعٍ، أما ترضون أن يكون إبراهيم وموسى فيكم يوم

القيامة

إتھما في أمّتي يوم القيامة

وردت في سنن الترمذي ٣٠٧٣، ٣٥٤٣، ٣٥٤٨، ٣٥٤٩

ابن ماجة ٤٣٩٨ والدارمي ٤٧، ٤٩، ٥٢، ٥٤

مسند أحمد ١٥، ٢٤١٥، ٢٥٦٠، ١٠٥٦٤، ١٢٠١٣، ٢٢٢٤٦

في الشفاعة والولاية

زعمهم: واحد يعبد النبي ومتبعيه حيث يعتقدهم شفعاؤه وأوليائه وهذا اقبح أنواع الشرك.

ومن الآيات التي يستدلّوا بها

في الولاية

﴿وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾ التوبة ٧٤

﴿والَّذِينَ إِتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ الزمر ٣

في الشفاعة

﴿وانذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أنعام ٥١

﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ المدثر ٤٨

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله - قل أتنبئون الله بما لا يعلم في

السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ يونس ١٨

﴿قل لله الشفاعةُ جميعاً له ملكُ السموات والأرض ثم إليه تُرْجَعُونَ﴾ الزمر ٤٤

الرد: معاذ الله ان يكون اعتقاد شفاعة النبي ومتبعيه وولايته شركاً وعبادة. إن الآيات التي يستدل بها جهلاء العقول هي للمشركين وقد ذكر الله آيات أخر في الشفاعة والولاية نزلت في المؤمنين وذلك لنفي نفعها عن الكافرين.

ففي الولاية، قول الله ﷻ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

رَاكِعُونَ - وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ المائدة ٥٥-٥٦

وفي الشفاعة قول الله ﷻ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة ٢٥٥

فهي دالة عن أن عند الله شفعاء قد أذن لهم بالشفاعة. وفي تفسير ابن كثير انما كقوله ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ وكقوله ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى﴾ وهذا من عظمتة وجلاله وكبريائه ﷻ إنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة. انتهى. وثبت في الحديث عن الضحاك قال، قال لي ابن عباس احفظ عني كل شيء في القرآن - وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير - فهو للمشركين وأما المؤمنين فما أكثر شفعاؤهم وأنصارهم. وفي تفسير ابن كثير ﴿قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون﴾ الزمر ٤٤ قل أي يا محمد ﷺ هؤلاء الزاعمين إن ما إتخذوه شفعاء لهم عند الله ﷻ، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له فمرجعها كلها إليه. وفي تفسير ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ يقول ابن كثير: أي من كان متّصفاً بهذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع لأن الشفاعة إنما تنجح اذا كان المحل قابلاً فأما من وافى الله كافرأ يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالداً فيها. انتهى.

ومن احاديث إثبات شفاعة الرسول ﷺ لأمته:

قَالَ ﷺ مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمَدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ النَّامَةَ وَالصَّلَاةَ الْقَائِمَةَ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ * حديث البخاري ٥٧٩ كتاب الأذان. °

وقال ﷺ إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْرَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ * حديث مسلم ٥٧٧ كتاب الصلاة. فهذا الحديث يظهر أن الصلاة على النبي بعد الأذان حق علينا بجاه رسولنا الكريم وشفاعة الرسول حق لمن سأل له الوسيلة. وقد قال رسول الله ﷺ "سألو الله لي الوسيلة لأنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة".



° وفي إخراج متشابهه النسائي ٦٧٣, ابي داود ٤٤٥, ابن ماجة ٧١٤, احمد ١٤٢٨٩

٦ وفي اخراج متشابهه، مسلم ٥٧٧, سنن الترمذي ١٩٥, ٣٥٤٧, النسائي ٧٨١, ابي داود ٤٣٩ و احمد ٦٢٨٠

قال ﷺ:

من زار قبري وجبت له شفاعتي

أخرجه الدارقطني وابن خزيمة وسنده حسن

قال ﷺ:

مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ

مسند أحمد ١١١٨٥

زيارة القبور

زعمهم: إن تعظيم قبر النبي والوقوف عنده كما يقف في الصلاة ويقول يا رسول الله أسئلك الشفاعة، يا رسول الله ادع الله في قضاء حاجتي الخ حتى اتخذوا الآثار مسجداً وكل ذلك من الأوثان، من نبي كان أو ولي، من اللآت أو العزى.

الرد: كيف تجعل قبر النبي ﷺ وثناً وتعظيمه عبادة وشركاً وقد قال رسول الله ﷺ:

- من زار قبري وجبت له شفاعتي
- من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي
- الأنبياء أحياء في قبورهم
- نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها

وفي نهي الزيارة، استدلووا بحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد بخاري حـ ٤١٨ . فهذا لا يدل على مدعاهم. فنحن لم نتخذ مسجداً فإن ارادوا قياس الزيارة عليه أي اتخاذه مسجداً، فقد سبق الكلام في ذلك، وهو المهم قاسوا المنصوص عليه (اتخاذ القبور مساجد) بالمؤمنين به (وهو الزيارة) وقياس النص على النص باطل باجماع العلماء، فهو قياس فاسد.

قال رسول الله ﷺ قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكركم الآخرة.

قال وفي الباب عن أبي سعيد وابن مسعود وأنس وأبي هريرة وأم سلمة قال أبو عيسى حديث بريرة حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بزيارة القبور بأساً وهو قول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق [الترمذي، كتاب الجنائز حـ ٩٧٤]

قال رسول الله ﷺ إني كنت نهيتكم عن ثلاث عن زيارة القبور فزوروها وتزدكم زيارتها خيراً ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا منها وأمسكوا ما شئتم ونهيتكم عن الأشرطة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ولما تشربوا مسكراً ولم يذكروا محمد وأمسكوا [الترمذي، كتاب الضحايا حـ ٣٥٣] وفي حديث آخر:

ومن أراد زيارة القبور فإنها تذكركم الآخرة (سنن النسائي حـ ٤٣٥٤) وفي حديث آخر كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهّد في الدنيا وتذكركم الآخرة (سنن ابن ماجه حـ ١٥٦٠)^٧

زيارته ﷺ من أعظم القربات، وأفضل المشروعات، ومن نازع في مشروعيته فقد ضلّ، وأضلّ، فقيل: إنه سنة ذكره بعض المالكية، وقيل: إنه واجب، وقيل قريب من الواجب، وهو في حكم الواجب، مستدلاً بحديث "من حج ولم يزرني فقد جفاني" أخرجه ابن عدي، والدارقطني وغيرهما، وليس بموضوع كما ظنه ابن الجوزي وابن تيمية، بل سنده حسن عند جمع، وضعيف عند جمع، وقيل: إنه مستحب بل أعلى المستحبات، وقد ورد في فضله أحاديث، فمن ذلك "من زار قبري وجبت له شفاعتي". أخرجه الدارقطني وابن خزيمة وسنده حسن، وفي رواية الطبراني "من جاءني زائراً لا تعلمه حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيماً". وعند ابن أبي الدنيا عن أنس: من زارني محتسباً كنت له شفيماً وشهيداً. وأكثر طرق هذه الأحاديث وإن كانت ضعيفة لكن بعضها سالم عن الضعف القادح، وبالجموع يحصل القوة كما حققه الحافظ ابن حجر في "التلخيص الحبير" والتقي السبكي في كتابه "شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام"، وقد أخطأ بعض معاصريه، وهو ابن تيمية، حيث ظنّ أن الأحاديث الواردة في

^٧ وردت في سنن النسائي ٥٥٥٧، ٥٥٥٨، ٥٥٥٩، أبي داود ٢٨١٦، ٣٢١٢، ابن ماجه ١٥٦٠، مسند احمد ١١٧٣ و ٤٠٩٢

هذا الباب كلها ضعيفة بل موضوعة، وقد ألفتُ في هذا البحث رسائل على رغم أنف المعاند الجاهل، حينما ذهب بعض أفاضل عصرنا إلى مكة ورجع من غير زيارة مع استطاعته، وألف ما لا يليق ذكره فالله يصلحنا ويصلحه ويوفقنا ويوفقه.

وقد قال الامام مالك في الرسول - إنَّ حرمة ميتاً كحرمة حياً - وعند سؤاله أاستقبل القبلة وأدعو ام استقبل رسول الله ﷺ؟ فقال لِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدمَ الى يوم القيامة. بل استقبل واستشفع به، فيشفعك الله. ذكرها القاضي عياض في الشفاء في الباب الثالث وذكر في الباب الرابع، قال الامام مالك في رواية ابن وهب: اذا سلم على النبي ﷺ ودعا، يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة، ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده. انتهى. وحاصله، انَّ استقبال القبلة في الدعاء حسن واستقبال القبر ايضاً حسن لا سيّما في حالة الاستشفاع به ومخاطبته.

قال الله ﷻ ﴿ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ النساء

٦٤

وقد استدللّ كافة العلماء من هذه الآية بأن تعظيمه ﷺ لا ينقطع بموته ويقرأ هذه الآية حين الحضور بموقعه (زيارة قبره) والاستغفار والإستشفاع بجانبه الأقدس من زمن الصحابة الى هذا اليوم. وفي تفسير ابن كثير "ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم" الآية يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا الى رسول الله ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسألوه ان يستغفر لهم فإنهم اذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال "لوجدوا الله تواباً رحيماً". وقد ذكر جماعة منهم الشيخ ابو منصور الصبّاغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً" وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك الى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكرم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشّره أنّ الله قد غفر له". انتهى تفسير ابن كثير.

وعن أنس بن مالك أنه اتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يديه (قال الراوي الرائي) حتى ظننت انه افتتح الصلاة (وقد صرح المكي والماوردي والذهبي والزين المالكي وغيرهم في آداب الزيارة بأن يقف كما في الصلاة). وروى الإمام الأعظم ابو حنيفة في مسنده كتاب الحج، عن نافع عن عمر ؓ - من السنة ان تأتي قبر النبي ﷺ من قبل القبلة وتجعل ظهرك الى القبلة. واستقبل القبر بوجهك ثم تقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وقال الامام الغزالي في احياء علوم الدين في كتاب السفر - وكل من يتبرك بمشاهدته ﷺ في حياته، يتبرك بزيارته بعد وفاته.

في زيارة قبور الأولياء والصالحين، قال الامام الشافعي: "قبر موسى الكاظم تزيقاً مُحَرَّبٌ لإجابة الدعاء". فاعلم من أنت من الغزالي والشافعي والمالكي وهم مجتهدون من السابقين وأنت مقلد. وقد ثبت في الحديث أنّ آخر هذه الأمة تلحن لأولاهم. واخرج الطبري عن ابن مسعود - خيرُ الناسِ قرني ثم الثاني ثم الثالث ثم يجيء أقوام لا خير فيهم. (وفي إخراج مشابه، بخاري ٢٤٥٨، مسلم ٤٦٠٠، ترمذي ٢١٤٧، ابن ماجه ٢٣٥٣، احمد ٣٤١٣).

إنَّ جواز الأشياء لا يتوقف على ورود الأمر بها، بل على عدم النهي عنها كما هو معروف ومقرر في علم الاصول.
فكل ما لم يرد فيه نص بالحظر فهو مباح. وقد علمنا النبي في سنته الصحيحة ان ما أمرنا به فعلناه ولم نتركه وما
نهى عنه إجتنبناه ولم نفعله وما سكت عنه فهو عفو.
قَالَ ﷺ أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِنَّا رَجَعْتَ عَلَيْهِ * . مسلم ح ٩٢
وقال الله تعالى (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا).



مَشْتَبَهٌ